

قصيدة مجهولة للسموأل

نشرت بعض المجلات والجرائد العربية منذ بضعة أشهر قصيدة نسبتها الناشر الاول لها وهو الاستاذ مرجليوث الانكليزي الى سموأل الشهير ثم وجدت منها نسخة ثانية . وفي الموصل اصح رواية من الاولى . ثم وجدت منها نسخة ثالثة اصح رواية من السابقتين ووجدت في بغداد . وذلك بينا انا ابحث في كتيبي على احد شعراء بغداد في القرن المنصرم ورد ذكره في مخطوط تقيس عندي فعثرت على قصيدة سموأل ولما انعمت النظر فيها ووجدتها قليلة الضرائر الشعرية والاغلاط النحوية والقيتها تختلف الرواية عن السمتين المذكورتين فحُت تحف بها قراء القنيس واصفاً لم المخطوط مع بعض الانتقاد لهذه المنظومة .

وردت القصيدة في الصفحة ٢٧٤ من مخطوطنا وقد ترجمت بهذا العنوان . « هذه القصيدة للسموأل من بني قريظة لا للسموأل من بني غسان » . واليك الآن نصها مع اللفظ المشكول بكل تدقيق وامانة :

الا ايها الضيف الذي عاب سادتي	الا اسمع تخمر يترك القلب مولهأ
فاحصي مزأبا سادق بشواهد	قد اختارهم عقماً عوافر للورى
من النار والقربان والحن التي	فهذا خليل صير النار حوله
وهذا زبيح قد فداه بكبشه	وهذا رئيس مجتبي تم صفوه
ومن نسله السامي ابو الفضل يوسف	وصار تبصر بعد فرعون امره
ومن بعد احقاب نسوا ما اتى لهم	السنابني مصر المنكبة التي
السنابني البحر المفرق والتي	واخرجه الميدي الى الشعب كي يرى
وكيما يفوزوا بالفتية اهلها	السنابني القدس الذي نصبت لهم
الا اسمع جوابي لست عنك بغافل	وينشب ناراً في الضلوع الدواخل
قد اختارهم رحمانهم للدلائل	ومن ثم ولاهم سناب القبائل
لها استسلموا حب العلا المتكامل	رياحين جنات الفصون الذوايل
يراه بديها لا تدج الثيائل	وسماه اسرائيل يكر الاوائل
لذي اشبع الاسباط قمح السنايل	بتعبير احلاه حل المشاكل
من اخير والنصر العظيم الفواخل	لنا ضربت مصر بعشر مناكل
لنا غرق الفرعون يوم التجامل	اعاجيبه مع جوده الشواصل
من الذهب الابرز فوق الجمائل	غمام تقيم في جميع المراحل

من الشمس والامطار كانت صيانة
 السنابني السلوى مع المن والذي
 على عدد الاسباط تجري عيونها
 وقد مكثوا في البر عمراً مجدداً
 فلم يبل ثوب من لباس عليهم
 وارسل نوراً كالعمود امامهم
 السنابني الطور المقدس والذي
 ومن هيبة الرحمان ذلك تذلاً
 وناجي عليه عبده ووكيله
 تجير نواديسهم نزول الفوائل
 لم يجر الصوان عذب المناهل
 فرأنا زلالاً ضممه غير حائل
 بنديهم العالي بخير الماء كل
 ولم يحوجوا للنعل كل المنازل
 ينير الدجي كأنصبح غير مزابل
 تدخدخ للبخار يوم الزلازل
 فشرته الباري على كل مائل
 فقدنا للرب يوم زل الباهل اه

فمن قابل بين هذه الرواية والروايتين الأولىين يحكم ان هذه اصح من تينك . وان
 هذه نقلت عن اصل اصدق رواية من السختين اللتين اخذت عنهما الروايتان الاخرجيتة
 والموصلية . بظهر ذلك من مقابلة بعض الالفاظ مثلاً قدورد في القصيدتين الاولىين هذا البيت :

فهذا خليل صبر الناس حوله رياحين جنات النضون الذوابل
 فهذا لا معنى له وهو محرف والاصح ما في نسختنا اي « صبر النار حوله » وورد ايضاً
 قوله في السختين : « بتعبير تدبير حل المشاكل » والتدبير لا يعبر وانما تعبر الرؤى والاحلام
 ومنه ما انشده المبرد في الكامل لبعض الاعراب :

رايت رؤيا ثم عبرتها وكنت للاحلام عبارا

وعليه فروايتنا اصح ايضاً في هذا البيت وقول السختين :

من الشمس والامطار كانت صيانة تجيز عسا كرم لهوف الفوائل
 فهذا مكدور البيت فضلاً عن اضطراب معناه في قوله « لهوف الفوائل » والاصح
 ما جاء في روايتنا « تجير » (بالراء المهملة) نواديسهم نزول الفوائل لان الفوائل تنزل بالمرء
 وبهذا المبني والمعنى ورد اغلب كلام العرب كما هو مشهور وجاء في السختين :

وارسل نوراً كالعمود امامهم ينير الرجا كأنصبح غير مزائل

فهذا البيت لا يخلو من المعنى . لكن من لا يرى ان هذا البيت مصحف الرواية وان
 انصحح « ينير الدجي » بالذال المهملة لا بالراء كما ينصح للقاريء لادنى تأمل

واما البيت الاول على رواية السختين فلا يخلو من معنى بقوله : « الا ايها الصنف »
 لكن نوع التصحيف فيه باء لكل ذي عينين والاصح : « ألا ايها الضيف » اما ناظم هذه
 القصيدة فلا نظن قط انها للسهموال بن عادياء . فاین هذا الشعر من قوله :

تسيرنا انا قليل عديدنا نثلت لها ان الكرام قليل ٠٠ اخ
 ففي هذا النظم من محكم البني ومثانة المعنى ما لا يرى له اثر في هذه القصيدة ولعل
 سبب وهم الناس في نسبتها الى سموأل بن عادياء توافق في اسم ناظم آخر عرف باسم
 سموأل لان هذا الاسم يوافق شموئيل وشموئيل او شمئيل ورد لآلوف من اليهود في نسبتها
 الى واحد من بني قريظة امكان لان هؤلاء محقوا بعد الاسلام بقليل اما لانهم دانوا
 بالاسلام اولانهم هجروا وظنهم ولحقوا باخوانهم خارج بلاد العرب فلم يصل اليها من
 شعرهم الا التزر القليل وعلى كل فليس هذا من نظمهم او نظم بعضهم لان «تعبير النصرانية
 الحديث» ظاهر من خلال النظم يشف عن حداثة وضعه لان ورود كي وكما في الشعر
 الجاهلي قليل ونادر وهاتان اللفظتان قد وردتا تبعاً في هذين البيتين:

واخرجه المبدي الى الشعب كي يرى اعاجيبه مع جوده المتواصل
 وكما يفوزوا بالقيمة ادلها من الذهب الابريز فوق الخائل
 ثم انظر الى قوله:

الا اسمع لخر يترك القلب موهماً وينشب نازراً في الضلوع الدواخل
 فهل من ضلوع تكون خوارج حتى تنشب النار في الدواخل منها . فلا غرو ان في
 هذا التعبير لغوا وتكلفوا لا يأتيسا واحد من اهل الجاهلية ولو اردنا ان نقبل الروايتين
 الاوليين فلا يمكننا الا ان نضرب بهذا النظم عرض الحائط اذ فيهما من الاغلاط الفظيعة
 ما لا يرتكبه اضعف طلبة المدارس في يومنا هذا فكيف يعزى الى ناظم يبلغ كاسموأل
 ابن عادياء الفسافي .

وما يشهد ان بدأ غريبة تصرفت بهذه الايات البيت الاخير الذي ورد في القصيدة
 الموصلية ولم يرد في الرواية الاخرنجية ولا في الرواية البغدادية وهو هذا:

وفي آخر الازمان جاء مسيحنا فاهدى بني الدنيا سلام التكامل
 فما معنى «سلام التكامل» ثم اننا اذا اقررنا بنسبة هذه الايات الى سموأل المشهور
 وهو يهودي فخ كما تشهد عليه جميع كتب العرب فلا يمكن ان يقول مثل هذا الكلام
 وكذلك اذا نسبتها الى يهودي آخر . فلا جرم ان ناظم هذا البيت الاخير مسيحي النحلة
 (١) لاقراره بجي المسيح (٢) لانه زاد هذا البيت بدون ان ينظر الى تسلسل التشابه
 والرموز فجاء به تعجباً بدون ادنى مراعاة لما ورد قبله (٣) لو قيل لنا ان سموأل بن عادياء
 كان من غسان وغسان كانت كهنا نصارى قلنا ان دعوى ان سموأل كان مسيحياً فجميع مؤرخي
 العرب وكتبهم وادباؤهم فضلاً عن ان غسان لم تكن كلها على النصرانية مخالفون لما فقد

كان فيهم من يعبد الاصنام ومن اوثانهم مائة . قال ياقوت في ترجمته : هذا اسم صنم في جهة البحر مما يلي قديداً بالمثل على سبعة اميال من المدينة . وكانت الازد وغسان يهلون له ويحجون اليه وكان اول من نصبه عمرو بن لحي الخزاعي ١٠٠٠ هـ . ومنهم من كان على دين دماء العرب كسطيح بن ذئب الكاهن المشهور فلم يكن نصرانياً البتة . وقد جاء في تاريخ اليعقوبي ١ : ٢٩٧ - (وكانت نلية غسان عند وقوفها امام صنمها ليك رب غسان راجلها والفرسان) اه وقال في ص ٢٩٨ (وتهود قوم من غسان) . وقال في ص ٢٩٩ وتنصر ٠٠٠ غسان وهذا كلام يدل على ان النصرانية واليهودية كانتا في غسان لالنصرانية وحدها وقال الطبري في تاريخه ١ : ١٢٦ (وكان الحارث بن ابي شمر الغساني نذر سيفين كانا له لبيت الصنم يقال لاحدهما رسوب وللآخر مخزم) اه فهذا نص صريح على انه كان وثنياً مشركاً وكل من وقف على اثنتين السابقتين وعلي نسخنا يعرف بنفسه ما في نسبة هذه القصيدة الى السموال من الشطط . اما اسم مخطوطنا فهو « نيل السعدي ترجمة الوزير داود » كتب سنة ١٢٣٢ وعدد صفحاته المكتوبة والبيضاء ٣١٤ وطول الصفحة ٢١ سنتيمتراً في عرض ١٣ وهو مصحف مجلد احمر وموطر بخطين احمرين مزدوجين وفي الوسط خطان متأزيان على بعد سنتيمتر واحد والقرطاس المخطوط من النوع السمي بالترمذي المشهور عند العامة بالترمة . وتبديء الصفحة الثالثة بقصيدة لناظمها الملا جواد البصير يمدح بها والي بغداد والبصرة وشهرزور داود باشا ثم تليها عدة قصائد في مديحه ايضاً بخط حسن وهي لعدة شعراء عراقيين مجبولين اليوم ولا نعرفهم الا بما بقي مدوناً من قريضهم في هذه المجموعة وهذا وحده كاف لان يعرفك منزلة هذا الديوان النفيس اذ بواسطته نعرف عدة شعراء عراقيين من بصريين وحليين وبغداديين وغيرهم .

وقد بلغت عدة القصائد في مديح الوزير ستاً وسبعين ثم تلاها قصائد أخرى مختارة من نظم الاقدمين والمولدين ومعاصري الكاتب ثم يتلو ذلك منتخبات من كتب الحديث والادب والاقوال المأثورة المشهورة مختلفة الموضوعات والاعراض وكلها من اتقى النثر والنظم ومما يزري ضياه حسنه ببهاء النجم واغلب ما جاء في هذا الديوان لم اعثر عليه سيغ الكتب المطبوعة . جمعه مؤلفه من عدة كتب مخطوطة عزيزة النال . ومما فيه ابواب في الاحاديث والثنائيات والثلاثيات ثم ديوان مرتب القوافي على حروف المعجم لعدة شعراء وكلها قصائد غراء آخر قصيدة منها دالية لابن حجة . ومن غريب ما في هذا الديوان بيت شعر لبدع الزمان الهمداني وهو يقرأ من احد عشر وجهاً . وهو من اعجب ما جاء في هذا الصدر ونحن نورده هنا لما فيه من الغرابة . ودونك اياه بنصه ومواقع الخبر الاحمر منه .

(كفى) نا بأنا في زمان مذم
 (سرتاً) أنا زور سائراً
 (افي) اقول مقالة
 : (بدار) ارادلى
 (مذلة)
 يناد عن اذق المبين ويدفع
 فنهمل فيما بينهم وانضج
 نيتني منها اللثيم ويقمع
 قلوبهم غيظاً علياً تقطع
 وليس بها حر من الناس ينفع
 (ارى) كل من فيها عن الحق يدفع
 (الذل) فيها دائماً ليس يقطع
 (من) ارجائها يتنوع
 (أ) كنانها يتسع
 (ملاكها) يتفرع
 (يتوقع)

وفي الوجه ٢٩٧ من هذا الديوان صور لبعض الرسائل التي دارت بين خان الحويزة
 ورستم انا بشأن معركة البصرة سنة ١١٥٦ وهي من الآثار التاريخية التي يحرص عليها
 الباحث كل الحرص لانها لا توجد في غير هذا الكتاب النفيس وتقع في اربع فواهم ونيف
 مشبكة السطور بمحبوكة الحروف وفي الصفحة ٣١٣ قصيدة للسيد عبدالغفار الموصلى مكتوبة
 بقلمه على ورقة طيارة فاخذها جامع الديوان وقطعها قطعاً محكماً يناسب شكل الصفحة محافظة
 على خط الناظم وهو من مشاهير شعراء القرن الماضي . وهذه القصيدة هي الدررة الثمينة لانها
 هي وحدها محفوظة بخطه فلا يخفى من خطه غيرها لولم يبق الكتاب وليس في صفحة من
 صفحاته ذكر اسم جامعه .

بنداد

ش ١٠

